تفسير ابن كثير

فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ^ط وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ

قال الله تعالى : (فكذبوه فأهلكناهم) أي : فاستمروا على تكذيب نبي الله هود

ومخالفته وعناده ، فأهلكهم الله ، وقد بين سبب إهلاكه إياهم في غير موضع من القرآن

بأنه أرسل عليهم ريحا صرصرا عاتية ، أي : ريحا شديدة الهبوب ذات برد شديد جدا ،

فكان إهلاكهم من جنسهم ، فإنهم كانوا أعتى شيء وأجبره ، فسلط الله عليهم ما هو

أعتى منهم وأشد قوة ، كما قال : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم) [ذات العماد]

[الفجر : 6 ، 7] وهم عاد الأولى ، كما قال : (وأنه أهلك عادا الأولى) [النجم : 50

[، وهم من نسل إرم بن سام بن نوح . (ذات العماد) أي : الذين كانوا يسكنون العمدة

. ومن زعم أن " إرم " مدينة ، فإنما أخذ ذلك من الإسرائيليات من كلام كعب ووهب ،

وليس لذلك أصل أصيل . ولهذا قال : (التي لم يخلق مثلها في البلاد) [الفجر : 8] ، أي

: لم يخلق مثل هذه القبيلة في قوتهم وشدتهم وجبروتهم ، ولو كان المراد بذلك مدينة لقال

: التي لم يبين مثلها في البلاد ، وقال : (فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا

من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجهلون ([فصلت : 15] . وقد قدمنا أن الله تعالى لم يرسل عليهم من الريح إلا بمقدار أنف الثور ، عتت على الخزنة ، فأذن الله لها في ذلك ، وسلكت وحصبت بلادهم ، فحصبت كل شيء لهم ، كما قال تعالى : (تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) الآية [الأحقاف : 25] ، وقال تعالى : (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما) [الحاقة : 6 ، 7] ، أي : كاملة (فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية) [الحاقة : 7] ، أي : بقوا أبدانا بلا رؤوس ; وذلك أن الريح كانت تأتي الرجل منهم فتقتلعه وترفعه في الهواء ، ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخ دماغه ، وتكسر رأسه ، وتلقيه ، كأنهم أعجاز نخل منقعر . وقد كانوا تحصنوا في الجبال والكهوف والمغارات ، وحفروا لهم في الأرض إلى أنصافهم ، فلم يغن عنهم ذلك من أمر الله شيئا ، (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر) [نوح : 4] ; ولهذا قال : (فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين)